

# قراءات في الفكر والسياسة من للدولاب

## الأبحاث

بقلم فاروق خورشيد

\*\*\*

في عدد الادب هذا الشهر الكثير مما يستوقف القارئ ليدفعه في دوامات من الافكار والانفعالات .. وحسب المجلة ان تدفع القارئ الى الوقوف مع نفسه يعيد بينه وبينها ترتيب افكاره وتنظيم انفعالاته على ضوء الدفعة الحية التي سكتها الكلمات المطبوعة في قلبه ووجدانه، حسب المجلة هذا لتكون قد لعبت دورها الهام في اثر القارئ فكريا ووجدانيا على السواء .

وقد ظلت بعد قراءة افتتاحية هذا الشهر امسك بالمجلة في يدي لحظات طويلة استعيد فيها اشياء واشياء ، استعيد فيها هذا العمر الطويل الحافل الذي جسده الافتتاحية .. عن امننا وعمر ادبنا وعمر هذا الجيل الذي عاش شبابه مع « الادب » وفي فترة حياتها وخصبها . جيل النكبة والتحول الاشتراكي والبناء الجديد ، جيل الصراع بين القيم والافكار وتلمس الطريق العربي وسط الخضم الهائل من المذاهب والاراء والاتجاهات ، جيل التماسك وسط زحمة رهيبية من طعنات الغدر لكياننا العضوي وكياننا الفكري بل وكياننا الروحي ايضا .. والطعنات حين ناتي فهي تارة تخطيء وغالبا ما تصيب ولكنها في كلا الحالتين زاد لزيد من الصمود ، و مزيد من التماسك ومزيد من الفهم لمتطلبات الطريق ...

ويقول صاحب الادب « وقد لا يكون من الادعاء القول بأن (الادب) هي من اوفر المجلات الادبية معاصرة وتجسيديا لروح التطور العربي » واحب ان اطمئن الدكتور سهيل ادریس - وانا بعد قارئ يتابع - ان قوله هذا ليس فيه من الادعاء شيء .. فقد استطاعت الادب بالفعل ان تحقق لنفسها شرط المعاصرة بدقة وحيوية .. وافسحت في صدرها للكثير مما يرسم حقيقة قلقنا الفكري ونطلعنا الدائم للبحث عن حقيقتنا .. البحث الجاد والقصيدة الصادقة والقصة ذات الاصاله الفنية وجدت كلها طريقها الى صفحات الادب لتطور من مفهومنا للادب ومن موقفنا من رسالته بل ومن نظرتنا الى قيمه .. آفاق جديدة فني الفكر السياسي والاجتماعي والفلسفي ، واحكام جديدة في النقد الادبي وتقييم التراث والنظرة الى اشكال التعبير الجديدة ، آفاق اطلت على دنيانا المجهدة من فوق منبر « الادب » لتقوم عند الكثيرين طريقهم ، ولتكون بصيص امل عند من اضطرت في ذهنهم الاشياء واختلطت القيم ليتموا طريق الخلاص ويحددوا معالم خطواتهم ..

استطاعت « الادب » هذا كله ، ولكنها استطاعت ايضا بحكم ما التزمته من فتح صدرها لكل الاراء والاقلام ان ترسم صورة حقيقية للصراع الدائر في نفوس شبابنا من اصحاب الاقلام والمشاركين في الحياة الفكرية . تطايرت من اقلامهم شرارات نار بعضها يصيب بالسي القيم فيجعل بحتها وبعضها تائه يحرق في طيشه ورعونته السواعد المجهدة العارية التي تحمي البناء ، وبعضها لا يصيب الا نفسه .. ولكن الصورة تكتمل ، صورة القلق والاضطراب والحيرة .. صورة البحث الذي لا يتوقف ولا يهدأ .. صورة صمود النفوس القويصة ، وصورة سقطت النفوس الضعيفة تهادى تحت ضغط الحاجة او الاستهواء او الخوف .. كم من شطحات حملتها صفحات الادب ، وكم من معارك ، وكم من حياة ..

اجل لقد كانت الادب بالفعل من اوفر المجلات الادبية معاصرة ، كما كانت من اكثرها تجسيديا للواقع بكل ما يشرف وبكل ما لا يخجل

من مواجهة لانه الواقع الفكري الذي يميز جيلنا ويحدد سماته ويرسم صورته .. ولذلك لم يكن غريبا ان يكتب الدكتور سهيل ادریس بعد هذا قائلا « ولذلك لم يكن معقولا ان يظل جيل ما قبل النكبة والتأميم والوحدة هو الذي يسيطر اليوم على المقدرات الادبية ويوجهها ، سواء في الادب او في سواها من المجالات الواعية التي تلتمز رسالة وتخط منهاجا » .. ولعل هذا يرجع بالدرجة الاولى الى افساح المجلة صدرها للقيم الجديدة فهي وحدها التي تطرد القيم البالية ، وحين يحس اصحاب الرجعة والنكوص ان صورة المجلة لا تمثلهم ينسحبون وحدهم في عجز عن مواجهة الواقع الجديد .. اما اصحاب الجديد فهم في خلافهم وصراهم لا يجدون غضاضة في منازل القديم بكل سلاح دون الخوف من مواجهته في صراحة وشجاعة .. وليس في هذا اتهام لاحد ، كما لست اظن صاحب الادب اراد ان يتهم احدا ، وانما هو رصد لخطوات قطعها حيانا ومثلتها الادب ثم جاءت ترصدتها فسي افتتاحية عامها الثالث عشر لتضع النقاط على الحروف ، ولتعلل لظواهر عديدة لاحظناها ووجب ان نحس باهميتها وخطورتها كظاهرة اختفاء بعض الاسماء التي طالما شغلت صفحات الادب وغير الادب ، وكظاهرة تجمع بعض هذه الاسماء في اماكن اخرى غير الادب واخوات لها كأنها في معركة اخيرة مع المد الجارف الذي لا يعرف التراجع والنكوص .

ومع هذا الذي تثيره كلمات الادب الصادقة ، تعود الى النفس ذكريات الكفاح الطويل على الطريق .. كفاح الشعر الجديد يفرض موسيقاه على الذوق العربي الجديد ويتلامم بايقاعه على الحس الموسيقي الذي خلقته متطلبات العصر وحاجياته .. وكفاح القصة لتخرج من كونها مجرد حكاية الى اداة حقيقية من ادوات التعبير الفني عن انسان عصرنا بكل ما يتجمع فيه من تناقض وتمزق واضطراب .. وكفاح النقد ليخرج من اهتمامه بالشكليات ومقومات الهيكل السى المصامين وادق خلجات التعبير عن النفس .. وكفاح الرأي ليخرج سافرا قويا بلا خوف، وليتصارع في حيوية دافقة وايحابية حقيقية مخلصا نفسه من القساء التهم واستعداد السلطات مما كان اسلوبا يمزق حيانا الفكرية ، ومما هو الان بقايا عفنة ينبغي ان تزال ، ورواسب آسنة ينبغي ان تطهر منها حياتنا ...

كلمات الادب العميقة الصريحة اثار في النفس الكثير من اصدااء المارك الفكرية التي عاشها جيلنا على مر السنين ثم خرج منها بيزاد جديد يعينه على الانتصار في معارك جديدة لا يخشى ان يخوضها .. وتتبدى عدم الخشية هذه في كلمة الدكتور سهيل ادریس حين يقول في صراحة ووضوح « وهذه المجلة حريصة على ان تتعاون مع جميع العناصر التي تؤمن بالقومية العربية وبالمصير المشترك ، الى اي بلد انتموا » .. وبهذا نفتح الابواب على مصارعها امام كل تيار مخلص جاد .. فنحن داخل هذا الإطار المشترك من الممكن ان نختلف ، ومن الممكن ان نناقش ، ومن الممكن ان يصل بنا الامر الى خصومة ثرية معطساء ، ولكن لا يمكن ان يصل بنا الى الانزلال او الى الخيانة .. وتحت هذا الإطار الرحب يواجه جيلنا كله معاركه دون خشية او خوف .. ان الإيمان بالقومية العربية وبالمصير المشترك إطار رحب يضم كل القلوب الصافية وان فتح الطريق للخلاف الصحي والخصومة الخصبة .. وادراكا من الادب لهذا كان مقالها الاول الذي يلي هذه الافتتاحية الجادة مقالا بعنوان

ما هي العروبة : للدكتور علي عيسى عثمان

والمقال تعريف بالجزء الاول من كتاب جامع عن العروبة للدكتور راجي الفاروقي . وهذا الجزء الذي يعرض له المقال عن ( العروبة والدين ) .. الا ان الدكتور علي عثمان يقدم لحديثه عن الكتاب بمقدمة - التتمة على الصفحة ٧٦ -

## القصة الأدبية

بقلم الدكتور احمد كمال زكي

### كلمة ضرورية

هناك فارق بين شاعر. ترانا نصفي اليه ، وشاعر نحاول ان نجد مسوغا للاصغاء اليه . ولدى للشاعر الثاني تشار قضية العمق الفني بكل ابعادها الاجتماعية والحضارية ، وقد نحاول ان نبحت فيما يشار حول غموض الشعر المرسل كله . ولكن من المؤكد ان تكون هناك ظروف « طارئة » نوعا على الفن فتمتعه او تسلمه الى ضبابية يلعب فيها الوهم - كعملية ادراك ضرورية - دوره في المعرفة . وهنا يستحيل علينا ان نحدد المناخ الحقيقي للفنان على اساس ان من المستحيل فضلا تحديد اي مناخ صالح لانتاج اي فن مفهوم .

ولقد كان يقال عن لبنان انه مهد النهيم الرمزي ففرق جانب ضخ من شعره في الغموض ، وقيل في تبرير هذا ما قيل ولكن المتشائمين ابوا الا ان يقرروا ان قصائد واحد كاديب مظهر او اخر كسعيد عقل ليست في الحقيقة الا نذيرا بانتهاء الشعر العربي الاصيل! اترانا قادرين على ان نحدد المناخ الذي اظل الرمزية البهمة في الشعر اللبناني ؟

أهو مجرد تقليد للمهجرين ام احتذاء لاشعار بول فاليري وامثاله العمالقة ، ام ترى ثمة اشياء هي من صميم الشاعر واعماقها ؟ لسنا ندري على وجه التحقيق ، وان كنا لا شك نرى من يحاول ان يدلي برأيه مدعما بالادلة والبراهين . ولكننا ندرك من كل المحاولات ان الرمز عند اللبنانيين كان من القوة بحيث دعم الشعر العربي الاصيل ولم ينهه ، بل ربما كنا اذا التوى بنا الطريق نجد في موسيقاه اول درجات « التجلي » حيث يمتزج مدلول الكلمة - على اساس انها عمل فني قائم بذاته - بايقاعها اي حيث تختلط مادتها الفكرية العاطفية باهتزازاتها المنفومة .

ومعنى هذا ان طريق الرمزيين لم يكن قفرا قط ، بل كان دائما محفوقا بالعالم التي تحفظ له الزايا العظيمة للشعر العظيم . فاذا اعتمده اليوم اصحاب الشعر المرسل فكانهم يعتمدون اساسا يقدرون به على اقتحام الحدود التقليدية بلا تشويش ولا اضطراب ولا تعمية ، ولو قد غم الامر فلا بد من ان يكون وراءه هذا العمق الفني الذي اشرنا اليه مستهلين بخاصة اذا لم يكن في « المناخ » ما يبرر التعمية اصلا . اني اقول هذه الكلمة وامامي الكثرة من شعر اشقائنا السوريين من الشباب ، وعلى الرغم من اني لا اريد ان اقول انهم واقعون حقيقة في جهد اقتحام الحدود الشعرية التقليدية - ومن ثم يضطربون شيئا - فاني لا ارى ثمة ما يدفع هذه القالة . اللهم الا اذا استبدلت بها انهم يخشون السلطان ، فتكون ثمة حجة منطقية تبرر للضبابية التي تلفع شعرهم .

وليطمئن هؤلاء الشباب ، فغيرهم يشاركهم هذه الخاصة ، بل قد يفلون عليهم . واننا لنجد شعر حسب الشيخ جعفر - الذي قرانا له نموذجا في اداب العدد الماضي - يكاد ينتمي باكملة الى عالمهم المصيب لما ينطوي عليه من تفتيت واحالات وتعمية .

### هذه هي القصائد :

اني احيل القارئ الى « دمشق في الشتاء » للشاعر اسماعيل عامود والى « التخطي » للشاعر مهدوح علوان ثم السى « السوناتا الرابعة » للشاعر حسب الشيخ جعفر . فعلى الرغم من الخصائص المميزة لكل منها - ولها خصائص فعلا - فان اصحابها لا يذهبون السى نهاية الشوط في « الاقتناع » و « التبرير » . انهم لا يبلغون الاجوج ولا

يقومون دليلا على ان لديهم رؤية محددة . خذ مثلا قصيدة اسماعيل عامود - على رغم انها اسهل الثلاث - فستجد نفسك وقد صدمتك تفتينات رؤيته في ذلك الاطار العظيم لاحساسه بالضياح والاسار . من التي تحل الجفون بالبهار ؟ وما المدار ؟

ومن التي ترقبه هو في مخادغ الشتاء ؟

ما الصلة بين هذه جميعا ؟ ولماذا هذا الحشد من اسماء اولياء الله والشيوخ ؟ افن كان قد اصطنع المنطق يحدد ما بين لهجات الاسى الموتس والترقب المتوجس وبين الاحمال في الطبيعة - وهي شتاء - والقحط في قريحته ؟ ان بعض الاشارات في القصيدة قد تحمل معنى خاصا في ذهن الشاعر ، ولكن لعل لها من الخصوصية ما يباعد بين جوهر التجربة ومدى ادراكنا نحن .

فاذا انتقلنا الى « التخطي » ازداد شعورنا باننا ازاء شاعر يريد ان يقول شيئا ولكنه يخاف ان يتردد او يعجز عن ان يقوله - وان كنت انفي العجز لاستواء فكرة الشعر عنده - او لا يريد ان يخاطر بالافصاح عن تجربة طريقة هي « الخوف من الخروج الى النور » مع ان هذا الخروج خلاصا مؤكدا . وبوجه عام فان مهدوح علوان يدفعنا السى سؤاله مثل هذه الاسئلة التي توجهنا بها الى عامود ، غير اننا نضيف ان حالة الترقب قد تحولت في اواخر القصيدة الى حالة من خيبة الامل المتمزجة بالاستنكار والاصرار .

تجربة معقدة من غير شك ، ولكن التدفع العاطفي - الذي يبدو غالبا في صور للرجاء المتزج بالاباء و احيانا في تقارير جامدة - يجعل منه ساحة للقلق العنيف . فكل ظاهرة تقف ازاءها رؤيا من رؤى الاحلام ، ولحظة الميلاد امام نواح المعجزات ، والنور قبالة الظلمة، وهكذا. ذلكم هو المحور الرئيسي الذي تتحرك حوله هذه القصيدة ، حتى ليبدو كان الوجود الذي تصوره وجود مصطنع او ذاتي بحت ! واما القصيدة الثالثة فهي « السوناتا الرابعة » وصاحبها ليس سوريا وهو مقيم في موسكو . . منفا فيما يبدو او دارسا او زائرا ، ولكن الشعور بالقربية عنده عاصف ، ويبرز في كل اعماله التي قرأناها له حتى لنعد مفتاحا لفهمه .

ومع ذلك فان هذه القصيدة تعتبر من اسوأ ما قرأته له ، وهي بالنسبة لقصائد اداب العدد الماضي تقع في الجانب الذي لا يكشف عن شيء . حقا انا سلكتها مع قصيدتين لشاعرين سوريين ، الا ان هذا لا يعني اكثر من الاشتراك في حالة الغموض والخلاف في الكم . . وهو خثير من غير شك !

وفي اعتقادي ان معميات القصيدة ترجع السى ان حسب الشيخ وقع في سلسلة من المتناقضات بالاضافة الى انعدام الرؤية المنطقية فنيا . انه يتحدث هامسا احيانا او صانحا احيانا اخرى ، ولكنه لا يحدد شيئا . فهذا القلب الذي يبدو كشارع يفسله المطر قد يفتح بابا الى الصفاء ، ولكن ان يلقي عليه منتصف الليل سقفه الخاوي - ولا ادري كيف - فهذا ما لا يمكن ان ينمي الصورة ولا ان يبرز معالمها . كما ان العناوين الجانبية لا تعطي اكثر من بلبلة بالاضافة الى انها ليست من تقليديات السوناتا كمنط شعري له اسلوب وله جوه الخاص .

حقا نجد في القصيدة صوت الريح « المهاجرة » يرتفع حيننا بعد حين . . ثلاث مرات باحتساب ختام السوناتا ، غير ان هذا الصوت لم يكن من القوة بحيث يجمع شملها ، وضاعت خلاله زهرة القمر التي تبدو مرتين في السماء ومرة اخيرة في واجهة المخزن !! وتكرار الصوت في حد ذاته عملية ذهنية ، وكان من المفروض ان تعمل على خلق ابعادات فكرية ، الا ان انعدام الرؤية - كما قلت - ضرب القصيدة ككل في الصميم .

## القصص

بقلم الدكتور عبد المحسن طه بدر

تحقيق وجودها ككتابة يدفعها الى محاولة تحقيق حلمها فسي ابتها  
الطفلة ، ستحاول أن تمنح ابتها وجودا حقيقيا وليكن ذلك عزاؤها ،  
ولكن شبح الفشل يطاردها حتى في جهودها لكي تحقق وجودها من خلال  
ابتها : - « كنت في بعض الاحيان احس بالضيق وبالالم وبانني اهدر  
نفسي واحطمها فأحطم أكبر أمل كنت اعيش من اجله قبل أن تولد لي  
طفلة وهو ان اكتب » « انرى السنت اخادع نفسي ، الست اكذب عليها ،  
الا امثل دور التضحية لابعد عن نفسي شبح عجز يتملكني ... وابسرر  
مسلكي واصب نقمتي على المجتمع الذي افسح لنا مجال العلم ونحسن  
فتيات ثم حرمانا المساعدة حين تلقفتنا متطلبات الأسرة التي تبذل معظم  
ساعات يومنا » « ليتحقق حلمك انت يا حبيبتي » .

الى هنا لا اخلاف بيننا وبين الكتابة ، غير ان طريقة الكتابة في  
التعبير عن رؤيتها للواقع قد تبدو احيانا عاجزة عن ان تكون في مستوى  
المشكلة ، ويبدأ القموض من العنوان ، فالقارئ حين ينتهي من قراءة  
القصة لا يدري حقيقة من هم الذين لا يكون .. هل تعني بهم الكتابة  
البشر الذين يعيشون بتلقائية ولا يحسون الألم والتمزق والضياع ،  
ام تعني - وهو الأرجح - الام وابتها الذين ينمزقون داخليا ولكنهم  
مدعون للصدوم والتماسك لان احدا لا ينصت ليكآتهم .

ولعل المشكلة الاكثر خطورة هو اختيار سن الطفلة بالذات وهو  
الخامسة والنصف كرمز لامتداد فشل الام . ان هذه السن بالنسبة  
للطفلة لا تثبت الفشل او النجاح وتجربتها في الامتحان لا تقنع بامتداد  
فشل الام وعجزها الى الابنة . وهكذا تبدو الام وكأنها « تجعل من الحبة  
قبة » . وتجعل مآثره الكتابة حقيقة قاسية مجرد اوهام ؟

وعصبية الام وعنايتها الزائدة بابتها ولهفتها عليها تكاد تناقض  
وعينا بمشاكلها . ان التجربة التي فجرت احساس الام بالفشل غير  
مبررة وهي لذلك غير مقنعة ، ثم ان فشل الام نفسها ليس قاسيا الى  
الدرجة التي يمكننا ان نشاركها فيه ، ان لها زوجا محبوبا وابنة وبيننا  
مستقرا ، وقد اختارت الام هذا الموقف بحرية !! من قال اننا جميعا  
مدعون لتغيير العالم !! ان صرخة الام لا تصلنا بنفس القوة وتقصير  
المجتمع مع البطلة ليس مقنعا ، ان القصة دعاء لنا لتقدير موقف ام  
مثقفة موهوبة ، ولكن الدعوة لا تصلنا بقوة لانها ليست مبررة فنيسا  
بالقدر الكافي .

سنة سعيدة : ديزي الامير

هذه القصة حكاية قديمة تأخذ شكل قصة قصيرة حديثة ، ولكنها  
لا تمنح اي رؤيا جديدة للواقع ولا تعمق احساسنا به ، موظف مفصول  
معطل عن العمل لان الشركة التي يعمل بها قد اغلقت ابوابها ، وهو  
يعاني من مواجهة الآخرين بهذا التطل ومنهم حبيبته او صديقته التي  
يحبس بالحاجة الملحة اليها ولكنه لا يجسر على الالتقاء بها ، وهي  
بدورها صامته جامدة لا تتصل به الا لتهنئه بالعودة الى وظيفته بعد ان  
عادت شركته من جديد الى العمل .

موقف المرأة في القصة موقف معاد مكرر ، حكاية قديمة بليت  
واستنفدت كل اغراضها « ونضجت واحترقت » . وازمة بطل القصة  
كما عرضتها الكتابة ازمة سطحية بلا اعماق ازمة مفتعلة وغريبة فسي  
بابها ، ان ملايين من الموظفين غير العاطلين بالفعل يتمنون ان يكونوا  
في مثل موقفه ، وهذه حدود ازمة البطل كما رسمتها الكتابة .

« كان يدري ان ابتسامته بلهاء ، فطالما قال هذا لنفسه وهو يتمرن  
عليها امام المرأة ، ولكنها خدعت كثيرين ولعلها لم تفعل وهو يريد ان  
تكون كذلك » الصورة الاولى من صور الازمة هي موقف البطل امام  
المرأة يتمرن على ابتسامته بلهاء ليتحاشى بها عيون الآخرين ، وتمتد  
هذه الصورة من صور الازمة لتكون التعبير عن ازمته مع حبيبته ايضا  
« اين تراها الان ؟ اين هي ؟ واحس بخنين جارف اليها ، يريد ان  
يراه ولو دفع كل كرامته ثمنا للحظة لقاء . لن تسأله ان وجد عملا ،

- التثمة على الصفحة ٧٩ -

لكل فنان منطلق خاص في النظر الى واقعه ، يكشف عن مناطق  
الانارة بالنسبة ، ويحدد لونه الخاص وفرديته المتميزة داخل الاطار  
العام لروح عصره ، ولو فقد الفنان رؤيته الخاصة ، واصبح لا يرى الا  
التقليدي والمعروف لفقد المبرر الحقيقي لوجوده .

ان التبرير الاصيل لوجود الفنان هو انه يرى في العادي والمألوف  
شيئا مثيرا يستحق الجهد الذي يبذل في التعبير عنه ، وفي دعوتنا  
الى مشاركة الفنان رؤيته الجديدة التي اكتشفها ، وليست هذه دعوة  
الى الواقعية بمعناها الضيق ، فقد يجد الفنان نفسه مضطرا لكسي  
يكون اكثر صدقا واخلاصا في التعبير عن رؤيته للواقع الى رفض الالتزام  
بالواقعية ، وقد يعمد الى تمزيق الواقع او تجريده او الاستيلاء عليه  
او تشويهه وهو في بحثه الدائب عن اسلوب اكثر صدقا فسي التعبير  
عن رؤياه لهذا الواقع .

والفنان العربي الذي يشعر بجسامة العيب الذي يحمله وهو  
مطالب باكتشاف الطاقات الكامنة في امته معرض باستمرار لفقد  
بساطته وتلقائيته ، ذلك لانه يريد لكل كلمة يكتبها - اذا كان مخلصا -  
ان تعبر عن رؤية عميقة وشاملة . ويبدو انه يريد احيانا ان يلخص  
ازمته وازمة عاله كلها في قصيدة او قصة قصيرة ، ولما كانت هذه  
الاشكال الادبية تآبى بطبيعتها ما يريده الفنان لها ، فاننا نحس فسي  
مواقف كثيرة بان الفنان يحمل احداثه ما لا تحتمل بصورة تركنا غير  
مقتنعين بما يقول .

ومن ناحية اخرى فان الفنان العربي الذي ما زال يحس غالبا  
بفرديته بشكل مفرط ، قد يبادر الى استعراض عضلاته والفرحة بنفسه  
حين يكتشف شيئا هو في الحقيقة عادي ومألوف ، ويصبح عمله والحالة  
هذه هو استعراض ذكائه والسخرية من ابطاله سخرية مرة لا داعسي  
لها لانها تفقد الكاتب وتفقد ابطاله انسانيته .

وبين الاسلوب الذي يجبر الاحداث على التعبير عما فوق طاقتها  
والاسلوب الذي يفرح الكاتب فيه بذكائه الذي ليس رائعا الى الحد الذي  
تصوره صاحبه ، تقف فصوص العدد الماضي من مجلة الاداب .

الذين لا يكون : عابدة مطرجي

اهم ما يلتفت الناقد في هذه القصة هو تخلصها من اسلوب  
الحكاية التقليدي في القصة القصيرة الذي كان سائدا يوم كان الفنان  
يجد تبريره في تقديم العجيب والغريب والطريف والمسلبي ، حيث يقع  
الفنان في عاله مفصولا عن هذا العالم وعن قارئه ، يقص من الماضي  
قصة الفلاح الذي تزوج الاميرة ، والاميرة التي احبت الراعي منبها  
القارئ الى الظروف السعيدة التي قادته الى اكتشاف هذه القصة  
الفريدة وتقديمها للقارئ العزيز ، ان اسلوب القصة الذي تقدمه لنا  
الكتابة يضع القارئ مباشرة في مواجهة الحدث محطما الفاصل الزمني،  
مخلصا القصة من كان ويكون ومن تعليقات المؤلف وتمهيداته .

والقصة تلفت النظر ثانيا في اختيار الزاوية التي نتعرض منها  
لمشكلة المرأة العربية ، فالمشكلة هنا ليست مجرد ثورة « دون كيجونية »  
على الرجل والمجتمع ، وليست المناداة بحرية المرأة بشكل عصابي  
ووهمي ، ولكنها مشكلة المرأة العربية الموهوبة والثقفة بعد تجربة  
ممارسة الحياة الواقعية وحيث تجد نفسها عاجزة عن الاحتفاظ بتوازنها  
كزوجة وام من ناحية وكانسانة تتطمح الى التعبير عن موهبتها  
والانطلاق بكل طاقتها .

نحن في مواجهة ام تريد ان تعبر عن موهبتها وتكتب ، وعجزها عن

## الإبحاث

— تنمة المنشور على الصفحة ١٤ —

هو تقديم كتاب الدكتور الفاروقي فنحن معه نرى أن الحل هو المزيد من الدراسات الجديدة التي يقف فيها وجدان الدارس العربي حاجزا دونه والانحراف ، والتي تنبع من صميم فهمنا لتراثنا ومقومات وجودنا العربي غير متأثرة بأحكام جاهزة سواء اكانت احكاما تطبيقية غرسها المستشرقون وتابعوهم ، ام كانت احكاما نظرية يقرسها اليوم في ارضنا اصحاب ( الايديولوجيات ) الجاهزة ..

فواقنا العربي يحتاج في الحقيقة الى عملية كشف جديدة وكاملة، ولست احسب اننا سنجيب على سؤال « ما هي العروبة ؟ » اجابة علمية شافية .. قبل ان نجيب قبل هذا على اسئلة كثيرة اهمها ما هو الادب العربي ؟ وما هو الفكر العربي ؟ وما هو المجتمع العربي ؟ وما هو الانسان العربي ؟ .. دون تسليم بالاحكام الجاهزة التي نطالعنا الان في كتب الدراسات والتاريخ والنقد .. وهذا الجهد لا يكفي فيهمجهد باحث مخلص كالدكتور الفاروقي وحده ، على اعترافي بهذا العرض الجيد الذي قدمه الدكتور علي عثمان للجزء الاول من كتابه عن العروبة والدين - وانما لا بد فيه من جهد كل العاملين في حقل الدراسات والفكر لاعادة النظر في كل الموروثات من الاحكام كل في مجال اختصاصه ودراسته ، وساعتها سنستطيع ان نحصل على صورة صحيحة واجابات شافية للسؤال الذي اثاره عنوان هذا المقال القيم .. ما هي العروبة ؟ فالعروبة لا يمكن ان تحدد علميا قبل اكتشاف كل جوانبها وكل طاقاتها عبر التاريخ وعبر الحدود البيئية والجنسية التي كونتها .. وينبغي ان نبدأ بالبحث الجاد وان تأخرت نتائجه قبل القفز الى النتائج التي وان ارضت متطلبات جيلنا فربما اخفقت في تاصيل جذور صامدة في باطن تربة الحضارة الانسانية كلها .. وليس في هذا افتئات على اهمية بحث الدكتور الفاروقي الذي قدمه الدكتور علي عثمان وانما في هذا لفت الى ان ادوات الباحث في الشموليات لم تكون بعد لان البحث في الجزئيات لم ينته بعد بل لعله ايضا وفي ميادين عديدة لم يبدأ اصلا. ولعل هذا الذي نصل اليه في ختام حديثنا عن مقال الدكتور علي عثمان هو ما يؤكد مقال الاستاذ عبد الهادي الفكيكي وعنوانه :  
الاشتراكية الغربية : بين النظرية والتطبيق ..

اذ يقول الاستاذ الفكيكي في رفضه لوضع تعريف للاشتركية العربية يدخلها في مجال النظريات : « لقد حاول بعض المفكرين العرب ان يبدعوا نظرية اشتراكية عربية ليدفعوا بذلك خطر انسياق الانسان العربي وراء النظريات الاشتراكية بعد ان احتدمت المعركة بين الفكر العربي والفكر الشيوعي في اعقاب الحرب العالمية الثانية . ولكن هذه المحاولات كانت تنتهي دائما وتتحول الى دعوة تفتقر في كثير من الاحيان الى المنطق العلمي لان هؤلاء - على ما يظهر - لم يفوا حقيقة نفسية الشعب العربي التي ترفض كل توقع داخل الاطر النظرية . فالانسان العربي لم يلمس من ( الاشتراكية العربية ) التي نادى بها بعض الحزاب العربية ونادى بها بعض الكتاب والمفكرين العرب ، سوى الاتجاهات الفكرية العامة والخطوط العريضة التي حاولوا ان يجعلوها منها قواعد واسسا للاشتركية العربية فجاءت قاصرة عن بلوغ مرتبة النظرية المتماسكة المحددة الجوانب رغم كونها حملت بعض مبادئ الفكر الاشتراكي العربي . وما لبث - نتيجة ذلك - ان اخذ ( شعراء الاشتراكية العربية ) محتوى غيبيا بعيدا عن الفهم العلمي للمشاكل الاجتماعية القائمة في المجتمع العربي .. »

وهذا الذي يقرره الاستاذ الفكيكي انما ينجم دائما عن الرغبة المتسرة في التنظير قبل اكتمال الادوات . والواقع ان عالما العربي اليوم في حاجة الى الكثير من النائي في الاحكام ، والاحتراس عن الخروج منها بنظريات شاملة .. والاشتركية العربية رغم استفادتها الواضحة من التجارب السابقة ومن النظريات المؤصلة تريد ان تمارس وجودها بنفسها قبل ان تتحدد لها العالم وتتضح الخطوط .. والواقع ان العايشة الفاهمة لظروف المجتمع العربي والمتناقضات المتعددة التي تلعب دورها فيه .. هي التي تدفع دفعا الى الاحتراس عند التنظير .. والتجربة التي عاشتها الجمهورية العربية المتحدة والتجربة الاخرى

هامة وخطيرة ، اذ هو يؤكد فيها صعوبة البحث في الحضارات ويناقش من خلالها ادوات الباحث ونوعية البحث ليخلص الى ان البحث في الحضارات انما يجمل مع نتائج البحث موقف الباحث نفسه ويقول « ومتى ادرنا ذلك فقد نقرأ بحثا لفلان او لغيره تكمن وراء دراسته عقلية معينة واغراض معينة ، نقرأ له لا لقيمة الدراسة في نفسها ، بل لانها تعبر عن وجهة نظر معينة من المهم ان نتعرف عليها .. » فالبحث في الحضارات اذن تؤثر فيه رغبة مسبقة هي وليدة موقف يقفه الكاتب بحكم ثقافته وبحكم تراثه وبحكم مكوناته العقلية .. وينهب الدكتور علي عثمان الى ان الدراسات التي قدمت حتى الان عن العروبة حكمتها اشياء خارجة عن طبيعة الدراسة نفسها ومرتبطة بمفاهيم نعت وتطورت في ظل الحضارة الغربية كمفهوم القومية كمصطلح حديث مرة ، وكالتأثر بايديولوجية معينة تخضع كل الظواهر لمفاهيم اقتصادية وسياسية بل وخلقية بذاتها .. كما تحكمها السذاجة التي تستهويها حتى تسيها ارتباطاتها بالعروبة لتحل محلها اعجابا بالغرب ومواقفه لتظفر اخر الامر بنعت عن اهل الغرب لا يزيد ولا ينقص في دنيا الشرق التي تريد ان تجد نفسها . « فمن هؤلاء من اشتهر بين الغربيين كباحث لا تغلب عليه العاطفة وتغلب عليه الموضوعية » .. وتقف هذه الصفة قنصاعا مستترا يحمي السذاجة من تهمة الخيانة الوجدانية السافرة .. والواقع ان هذا اللون من السذاجة قد ادخل في حياتنا الفكرية احكاما كثيرة ما زالت الابحاث المعاصرة تحاول جاهدة ان تتخلص منها واحدة اثر الاخرى .. من هذه الاحكام التي شاء الدكتور علي عثمان مشفقا ان يعنتها بالسذاجة احكام تصم العقلية العربية بالمعجز عن التصور الكلي للاشياء وبالتالي بالمعجز عن خلق فن من الفنون الكلية التي تعتمد على تصور شامل كالرواية والمسرحية والملحمة واشباهها ، وقد اثبت البحث الحديث وما يزال يبحث عن ادلة جديدة تؤكد نتائج البحث خطل هذا الحكم وتحيظه السافر المقيت .. وكما ذكرني مقدمة الدكتور علسي عثمان بهذه القضية المغلوطة التي عايننا منها كثيرا في دراسة الادب العربي بعامة والشعر العربي بخاصة ، ذكرني ايضا باحكام تصم الحضارة العربية كلها بانها مجرد مرحلة انتقال بين الحضارات القديمة وبخاصة اليونانية والرومانية وبين حضارة الغرب المعاصرة .. واصحاب هذا القول يجهدون انفسهم اجهادا في البحث عن ملامح يونانية ورومانية في تراثنا العربي الشعبي والرسمي على السواء تحت ستار كثيف من ثياب العلم والحياد والبحث الثاقن ، وهواهم الوجداني يقول ان وراء كل هذا البحث المضني المدقق رغبة دفينية في اثبات تلك القضية المدمرة التي تنكر كل معالم الجمال فيه ، وتريد ان تؤكد ان العرب ما كانوا في دنيا الحضارة الا مجرد معبر مرت عليه الحضارات دون ان يضيف اليها او يؤثر فيها .

المقدمة التي كتبها الدكتور علي عثمان لعرض كتاب الدكتور الفاروقي دراسة قيمة وضعت يدها علسي الكثير من الاخطاء وعللت لاسباب وقوعها كما حاولت ان تحدد صورة هذا الاضطراب الذي يقع فيه الباحث عند تناوله لكل تراث عربتنا التي سبقنا الى اصدار الاحكام فيها المستشرقون ثم رعييل مؤمن باحكام المستشرقين مبهور بدقتهم العلمية واخلاصهم للبحث اكثر من ايمانه بمقومات عربتته والحفاظ عليها . وينتهي هذه المقدمة بقوله : « وفي هذا التيسار التاريخي الكبير ما عسى ان تكون العروبة ؟ فالعروبة اوسع بكثير من ان ترى بمنظار ( القومية ) اوسع بكثير من ان ترى بمنظار ( ايديولوجية ) معينة .. ونحن نضيف انها اكرم بكثير من ان ترى من خلال نظرات مسبقة واحكام مفررة .. وان كان الحل الذي ارتاه الدكتور علي عثمان

تنتصر .. وعلى قدر شرف القضية اضاعها الحماس والاندفاع الشديد فلم يناقش المقال قضية واحدة من القضايا التي تعرض لها مناقشة موضوعية ماثية ، والمقال ناقش قضية العاميات المختلفة التي تعيش في عالمنا العربي ، كما ناقش قضية تيسير الكتابة وقضية تيسير النحو، وقضية اللغة التي نكتب بالعربية ونقرأ بالعامية ، وقضية مكان اللغة العربية بين اللغات ، وقضية الامية المتفشية .. وهذا كله كثير ، والاحكام في مثل هذه القضايا لا يلقى القاء خطايا حماسيا .. وانما تعالج بغير هذا الاسلوب اجدى لنا وللقضية وللكتاب الذي يتضح من علاجه للموضوع امكانيات هائلة تستطيع ان تفعل شيئا كبيرا لنا ولقضية اللغة وقضية العروبة لو اخذت نفسها بالاناة والدقة والهدوء .. فلسنا نحتاج الان الى خطابات مندفعة وانما نحن نحتاج الى دراسات واعية لا تتجمل النتائج ولا تتسرع في الاحكام ولا يأخذها الحماس فتنتسى نفسها ..

اما المقال الاخر الذي اريد الحديث عنه فهو :

عودة الى الفارس الخشبي للاستاذ معين بسيسو .. اذ سمي المقال فارس صلاح عبد الصبور القديم الذي عاد بالفارس الخشبي ، ثم نعت الدكتور لويس عوض يهودا ووصف الاستاذ محمد عبد الواحد بابي جهل .. وبعد هذا كله عاد فانق مع الاستاذ المذكورين جميعا حين قال « فالانسان ايها الصديق هو الانسان اينما كان ، في القاهرة او مدريد او الكونغو ، وعلينا مهمة تكليله وتعميده ، لا بالكايل الشعارات السياسية والخطب الشعرية ، بل بالشعر ايها الصديق ولا شيء غير الشعر .. »

فاين الخلاف ؟

انا كقارئ عادي جدا لم اجد في كلمات الاستاذ عبد الواحد غير هذا المعنى فهو ينكر معك ان يضع الشعر في سبيل الشعار والخطابة، ما القضية اذن؟ وانا كقارئ عادي جدا لم اجد في ديوان صلاح الا دفاعا عن الانسان ضد كل اضطرابات العصر ومقومات وجوده واندفاعه وقد قال صلاح هذا شعرا لا خطبا ولا شعارات .. اين القضية ؟ هل يريد الاستاذ معين بسيسو ان يقول هو وحده ان الشعر هو حياة الانسان ، فان قال غيره هذا الكلام اصبح صاحب فارس خشبي او يهودا او ابا جهل .. ؟

لم يعد هناك انسان في عالمنا العربي يستطيع ان يفصل الشاعر عن قضايا عصره وامته ، والناقد يربط بين احزان الشاعر وبين قضايا قومه وامته .. فان جاء الناقد ليقرر ان الشعر هو ما يريد من الشاعر فليس معنى هذا انه يقبل منه موقفا انسانيا مخلصا ، بل معناه انه يريد الموقف الانساني الايجابي داخل اطار من الشعر .. والشاعر قد يرفض وقد يحزن وقد يشكو ولكنه في كل هذا معاصر وايجابي ..

هذا ان كان ميزاننا الحب والفهم .. اما ان كانت المسألة غير هذا فقل ما شئت عن كل النقاد والشعراء .. اخشى ما اخشاه ان اقول ان ترديد كلامك هذا بهذه الطريقة لا يدخل في باب النقد ولا الدراسة وانما هو ادخل في باب البلاغات المقدمة لاجهزة الامن .. وكنت احسب ان اسلوب حياتنا الادبية قد تخلص من هذا الباب الى الابد .. ان القاء التهم السياسية سهل وميسر ولكنه ليس مهمة الناقد او الشاعر ، هناك فيما اعلم اجهزة تقوم بهذه المهمة وهي اجهزة تعرف واجها وتستطيع ان تقصي عن حياتنا من لا تثق في اخلاصهم لحياتنا الجديدة ، ولكن ليس معنى ان يعودوا الى الحياة ان يحاولوا تطيخ كل الوجوه بالوحل في اندفاع يهز ثقة من يحمونهم فيهم فسي اتزانهم ..

وقد يضمني الاستاذ بسيسو لمجموعة من انزلوا عن الحياة وعن تضحيات الناس الدامية .. وهذا في الواقع لا يخيفني فاني واحد من هؤلاء الناس الذين يبذلون التضحيات الدامية ويعيشون الحياة بينونها بالعمل والكلمات دون ان اجد في نفسي الشجاعة على اتهام الاخرين حتى من اعرف جيدا انهم يدينسون بايديولوجيات جاهزة تاتي حياتنا العربية ان تسمح لها بان تفرض نفسها عليها ، لانه

التي عاشتها الجمهورية الجزائرية تتضح خطوطها يوما بعد يوم بالنسبة لمن يطبقونها وبالنسبة لمن يرصدون خطواتها كذلك ، وهي في التجريبتين ترسم الخطوة التالية بعد الفراغ من دراسة حركتنا ونتائج الخطوة الاولى ، وهي تملك من الشجاعة والصبر ما يملي عليها ان تصترف باخطائها وان تقف دون الاندفاع فيها .. ولهذا فقد اصاب الاستاذ للفكيكي كبد الحقيقة حين قال في مقاله الواعي المخلص « من هنا يمكن ان نقول ان التجربة الاشتراكية العربية في القطرين جاءت تحمل كسل معاني العقلانية والقلبية » ونحن نبور العقلانية التي ذكرها الاستاذ الفكيكي في التجربة والخطا .. وفي الفهم والتخطيط .. كما نبور القلبية التي ذكرها الاستاذ الفكيكي في الاخلاص والثقة بالنفس وتلك الخاصة التي ذكرها من قبل الدكتور علي عثمان ، اعني الحس بالعروبة، ذلك الحس الذي يخلص لها ويحاول من خلال التجربة والدراسة التعرف على ملامحها من خلال تجاربها وتجارب البشرية من حولها .. بحيث تكون غايتها كما يقول الاستاذ الفكيكي « ان غاية الحركة الاشتراكية العربية قبل كل شيء تفجير طاقات الانسان العربي وخلق روح المبادرة والابداع لديه » .. فالحركة الاشتراكية تلقي بالحركة العربية كلها في محاولتها تلمس الانسان العربي واكتشافه ، فهي ليست هدفا في ذاته وانما هي وسيلة نحو هدف اسمى واعظم .. ذلك الهدف هو الاجابة على نفس السؤال السابق : ما هي العروبة ؟ ..

في مجال الاشتراكية تزيل الدولة غبار الظلم والظلم ، تزيل اثار المبودية والخنوع ، تقدم امكانيات الوجود المتكافئ .. كل ذلك ليجد الانسان العربي نفسه ويكتشف عن معننه ، فاذا فعل فالمطلوب منه ان يعود الى ممارسة دوره الحضاري الرائد .. وربما كان هذا هو السر وراء ربطه لمركة تحرره من الاستعمار ومركة بنائه الاشتراكي بالمعارك التي تخوضها كل الشعوب من حوله ، فهو لا يستطيع ان يغفل دوره في بناء الحرية حتى وهو مشغول بمركة البناء الاشتراكي .. وحين يبني الانسان العربي نفسه مكتشفا حقيقته مالكا طاقاته وامكانياته سيلعب دوره الحتمي الطبيعي في مركة تحرر الانسان وبناء الحضارة الانسانية .. ومن هنا يأتي تأكيد الاستاذ الفكيكي لاهمية تفجير طاقة الانسان العربي في قوله في ختام مقاله الرائع : « الا اننا نود ان نشير الى ان هذه التجربة في الحركة الاشتراكية العربية لا يمكن ان تصل مرتبة النظرية الاشتراكية العربية الا اذا تبلورت بشكل يحدد مساهمات تحديد علميا يعطيها المضمون او المحتوى الفكري والعلمي الذي يجعل منها دليلا نظريا ثوريا في التطبيق الاشتراكي العربي الذي يتخذ من العمال والفلاحين والمحرورين مادة للثورة العربية الاشتراكية » .

ومن هنا نجد المجال لوقفة صغيرة اذ ان تحرير الفلاح والعامل والمحرور من الحاجة وحده لا يكفي وانما ينبغي ان يتحرر في نفس الوقت وبنفس المنهج من تخلفه الفكري والحضاري ، والقضاء على الاقطاع واستغلال رأس المال ينبغي ان توأمة محاولة للقضاء على الاقطاع الفكري والاستغلال الاستهوائي الذي ينسى خطورة المرحلة التي نمر بها في تكوين الانسان الجديد الذي بدأت تفتح امامه مجالات المشاركة الفعلية في الحياة العربية .. ان الزاد الثقافي لانساننا العربي الجديد ينبغي ان يواجه بتخطيط وممارسة فعلية تعترف بالخطا وتنشد الصواب دون خوف او تراجع .. وقضية اشتراكية الثقافة ليست في مجرد فتح لمجالاتها وانما في وسماها بالجدية والاخلاص والعمق ، احترازا من الوقوع في خطأ الاستهواء والدماية البحتةما يؤخر نماء الطاقات الفكرية لانساننا الجديد ..

وهذا في الواقع هو ما احب ان اذكره تمهيدا لحديثي عن مقالين في الاداب :

اولهما مقال للاستاذ محمد محمود عبد الرزاق : نحو لغة عربية واحدة :

والمقال يندفع اندفاعا حماسية حتى لينقلب الى خطابة ترصعها شذرات من اقوال نابليون وتولستوي وطه حسين وتوفيق الحكيم وابي حديد واخرين .. والمقال الحماسي يؤكد انه لا بد للغة العربية ان

مهما وكانه يصطاد على طريقة زنجي الغابة حلا لقضيته من الطبيعة او يلتمس على طريقة عربي الصحراء طريقا للواحة في قفار الخراب . ومع افتراضنا بان الامر في الحالين صعب ، فان قوة نفس الشاعر اظهرته مطواعا لينا .

### بسن بيللا :

قصيدة للشاعر كمال نشأت يهديها الى الجزائر المناضلة في عيد نصرها . وانا لي رأي في مثل هذه القصيدة قد لا يسر كثيرين ، ولكنه يتفق مع رسالة الشعر الاصيل . وليس المجال هنا مجال شرح نظرية او بيان وجهة نظر ، وانما يكفي ان اقول ان قصيد الشاعر المناسبة يجنح به الى خطابية يفسدها اكثر ما يفسد الكليشيهات الاسلوبيية المتبدلة .

ولكن كمال نشأت - وهو صديق اعتر بصداقته ومع ذلك فلا اجامله في حقيقة الامر - هرب من مزلق الخطابية وما يترتب عليها من استخدام امثال « اسود الحمى » و « حمساه العرين » و « استلاب الشمس من خدرها » ونحو هذا مما لا يدل على اكثر من ضحالة وسطحية او كسل ، ذلك بالطبع اذا استثنينا وصفه لبسن بيللا بأنه « اعصار نشيد » يفتح عين الشمس او نسمة ازهار وحديدا !

في قصيدة صديقي كمال نشأت بساطة حلوة هي من خصائصه الاصيلية ، ولكن هل البساطة هي الفيصل في كسل قصيدة يمكن ان تكون جيدة ؟

### أوروبا تنزع الصليب :

قصيدة للشاعر الفلسطيني عبد الرحمن غنيم يكتبها من مصر ويهديها الى الرأي العام ، وان لم يصرح بذلك . والقصيدة في رأيي احسن ما قدمته الاداب في عهدها الماضي ، ومن اسط الشعر الرمزي الذي لا يتناول « الاوضاع » سياسية كانت او اجتماعية - على شكل ظاهر مألوف .

هو يرسم افكاره عن « القضية الفلسطينية » في درامية يسدو خلالها شاب متقلب - يرمز به الى اوروبا - يراود فتاة اسمها آن عن نفسها في جو مشحون بالقلق والتحدي والشك . واذا جعلنا آن هي نفسها « كنيسة روما » امكن لنا ان نوجه وقائع « الاحداث » او « الافعال » بلغة ارسطو وجهة موقف البابا من وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح .

ومن هذه الزاوية نفهم لماذا استهل عبد الرحمن غنيم قصيدته بالاشارة الى حكاية يوسف وقميصه :

النَّظْبُ بريء من دم يوسف يا يعقوب

فافتح عينيك

الثوب الدامي كان مجرد اسطورة

قد عاد لك الابن المحبوب

والاعين تنظر مبهورة

واول ما يعجب به القارئ حالما يقرأ هذه القصيدة هو ربط تلك الحكاية بموقف يهودا اليهودي الذي يراود تيرته مع قرينة القميص - على سبيل التضاد طبعا - برغم ثبوت الجريمة . واذا كان على الشاب واسمه في القصيدة نيقولا ان يرمي صليبه كافرا بالدين فهو حُر ، ولكن ان يرميه من اجل موقف سياسي فهذا هو منتهى العبودية .

هنا او من هنا نستطيع ان نفسر الذاتية التسيي افحمها الشاعر عندما تحدث عن نفسه في القسم الثالث من القصيدة . فعن طريق موقف خاص حدد له ابوه العربي يسأل نيقولا الا يقذف صليبه من اجل السياسة ... الا يقذفه من اجل ان يصحب آن الى فراشه ! انه اذا فعل غير ذلك خسر كل شيء :

تهدم دينك

تهدم نفسك

وتمزق فيك الانسان !

احمد كمال زكي

تحاول ان تجد نفسها باصرار وقوة ، وهي في محاولتها هذه تحتسرم الانسان حتى في عذاباته والامه وحتى في شطحاته وتحاول ان تفهمه في احترام وحب لتفهم نفسها في قوتها وضعفها على السواء ..

ان صاحب الفارس القديم لن يضيره ان يسمي احد فرسه بالفارس الخشبي وخاصة لو حمل صاحب التسمية حربة دون كيشوت وراح يحارب طواحين الهواء ، فان ما يضيفه صلاح عبد الصبور الى فهمنا للانسان العربي اقوى وابقى من كل النوع التي يلصقها به من يحبونه كما يقول الاستاذ معين .. نعم يحبونه الى حد اتهامه بالانفصال عن معركة امته والامه ، والى حد التلويح بعدم ولائه لدور الانسان العربي المعاصر ..

ما اجمل هذا الحب وابدعه وما اروع مقاصده ، وخاصة من شاعر ومفكر عليه ان يحمي الكلمة وقائلها ، وعليه ان يفهم بقلب واع وحب صادق .. وفرق بين النقد الادبي كما قلنا وبين غيره من انواع الكتابة التي برع فيها هذه الايام مجموعة متجانسة تلتقت تدريبا جيدا لتصبح اقرب الى الكلاب البوليسية منها الى نقاد الادب ودارسيه .. واذا كانت هذه الصفة تجرح شعور احد فليهم حين يسكون القلم ان يحسوا بانه دائما سلاح ذو حدين .. وان الكلمات كما قد تجرح الاخرين ، بل هي حين تجرح الاخرين ، انما تصيبنا نحن في القائل ..

وعندنا لقارئ الاداب ان احس ان الكلام قد انحرف عن الموضوعية، ولكنه مزلق تقودنا نحوه الكلمات غير المسئولة التي تسرع نحو تملق غرائز الرأي العام بترديد كلمات الفلاحين والكادحين دون ان تعني في الحقيقة سوى السيطرة على مقدرات الناس والارتفاع على اشلائهم .. ما اجدرنا - كما قلت - ان نخلص للبحث عن الشخصية العربية لاكتشافها ، وما اجدرنا ان نحترم كل الطاقات التي تتقدم الى ميادين التعبير الفني فلها ثواب الجهد المخلص وينبغي ان لا يكون عليها وزر الخطا .. وكل جديد نعرفه عن انفسنا ليس خطأ وان آلمنا .. اما ان تكف عن هذا الواجب لتردد الشعارات فهو الخطا واما ان نخشى من يرحمون العاملين بالاحجار فخطأ نرده بان نذكرهم بان الاحجار على الطريق ملقاة ، وليس جهدا ان يلتقطها حتى الصبية ، وليس فخرا ان نرميها على الناس وانما الفخر ان نستعملها في البناء .. بناء انفسنا وبناء الناس على السواء ..

فاروق خورشيد

القاهرة

## القصائد

- تنمة المنشور على الصفحة ١٥ -

### الشمس والاصابع :

قصيدة للشاعر مصطفى سند من السودان يحاول فيها ان يبسط حقيقة الشعر مترددا بين الماني التي طرقها الكثيرون قبله ، ولكنه يزود تجربته بعامل اخر هو الانتصار على الانحراف عن طريق خلسق القصيدة الصادقة . وقد برهنت هذه المحاولة على انها باعبادها هذه قد تكون مقنعة ولكن في حدود الدعوى القديمة التي كانت ترى الشعر تحليقا وتساميا .

ولكن مصطفى سند وهو يسجل رؤية عسبن « الزنجي » تهرسه النياق الحمر ورؤية عن « الكوك » يستلمون ركب العير والنجب الهابة - والشاعر فحل الاسلوب رصين العبارة جدا - السى جانب صلبه والاقرار باوضاره وبلورة جهده في ان يظل الصمت اجدى من اي شعر يقوله الادعياء .. مصطفى سند في هذا يكتفي بالحماسة تدفعها اليها خطابية لعلها راجعة الى عباراته الفخمة .

ان الشاعر - بطل القصيدة - قد قدم نفسه في حالة شديدة من القوة مع انه يريد وصف ضعفه . بل قدمها في اطار من الحيوية يبدو

## القصص

— تنمة المنشور على الصفحة ١٦ —

ولكن السؤال النائم في عينيها سرعان ما يصحو فتفتيه بابتسامتها الذكية ويجيبها . لا يملك غير ابتسامته البهلاء .

الصورة الثانية من صور الازمة تتمثل في رغبته الملحة في شراء رباط عنق جديد ، ولكنه مفلس . وهذه هي المأساة !! ومع ذلك فالرجل منير في سجاثره كما يبدو « ورمي السيجارة سحقها بقدمه الاولى والثانية » ما الداعي للقدم الثانية !!! تنبهوا يا سادة ان الرجل يسحق العالم الذي قسا عليه كل هذه القسوة . الم يحرمه ربطة عنق جديدة!!!

الصورة الثالثة : رغبته الملحة في شراء علب الهدايا ذات الاشرطة لحييته ولكنه عاجز عن ذلك ايضا « في المخزن الذي امامه حاجيات نسائية ، قدماء تلحان بالدخول ويده تمنى تقلاب الحوائج والاخرى تقفز للاختيار . احس بحنين جارف اليها يحملها علبا وعلبا ملفوفة بأوراق ملونة ومربوطة بأشرطة زاهية ، تفتح العلب بشوق طفل وينتظر هو سعيدا لفرحتها « يا للسيد الرفه والسيدة الطفلة !! احزنوا! يا معشر القراء ! الا تحسون عمق المأساة » .

الصورة الرابعة : « امس ارتدي هذه البدلة وكانت شوّما ، اليوم سيفيرها ويغير الحذاء والربطة في الايام التالية ، مصدر الشؤم شيء معين بدأ يبحث عنه في نوعية الاكل الذي يبدأ به في الصباح » انسان بانس في الواقع . فما زال بعد عام من التمثل يستطيع تغيير بدله واربطة عنقه . بل ونوع طعامه في الصباح . لقد احسست بحنين رومانسي الى هذا النوع من التمثل . وتنتهي الازمة بحفلة لعيد رأس السنة ، تبذل فيها الخور والنساء بلا حساب ، ويعرف صاحبنا ان شركته عادت الى العمل وانه سيعود اليه بعودتها كما تعود حبيته في الصباح الى الاتصال به ايضا !!

حين تريد الكاتبة ان تصور ازمة ، فان من الضروري ان تكون هناك بالفعل ازمة يحسها القارئ ويتفاعل معها ، اما تخيل ازمة في اللاشيء فان ذلك يخلق مأساة للقصة نفسها !!

الخطأ : عبد الله خيرت

لماذا يلجأ الكاتب الى الاستعلاء والقسوة على عالمه ؟ ان القسوة والتمرد على الناس والمجتمع مبرر حين يكون هناك مبررات عنيفة تدفعنا الى هذا التمرد وهذه القسوة ، ولكن الموقف يتحول الى مهزلة حين نجد انفسنا في مواجهة عملاق مفقود العضلات ينزع جاكنته ويستعد لدخول معركة ، ثم نجده بعد ذلك يستعد كل هذه الاستعدادات ليصارع طفلا صغيرا مهزولا . لماذا يقسو الكاتب كل هذه القسوة ويستعرض ذكائه بكل هذه المهارة على شخصية بائسة لا مجال للسخرية منها على الاطلاق ؟ في قصة « الخطأ » نواجه بالدرس « حسن » الذي اضاع حياته ومستقبله وهو ضحية طموح ساذج لا جدوى منه وعاش اعزب محروما « ولان الضرب في الميت حرام » كما يقول المثل فان موقف الكاتب في تحويل شخصية الاستاذ « حسن » الذي يستحق الرضاء الى « كاريكاتير » مشوه يكشف عن فرديتنا نحن ككتاب ، وعن اعجابنا بذكائنا الذي يبدو احيانا عاديا الى حد كبير ، وتشويه الشخصية والحالة هذه يصبح مجرد عملية عدوانية لا جدوى منها لأحد ، وربما كشفت عن عجزنا في ان نكون انسانين بقدر كاف . وفسوة الكاتب على الشخصية تبدو غير مقنعة لانها مبالغ فيها الى حد كبير ، فاعجاب مدير المنطقة بالاستاذ فتحي يرجع الى انه استطاع في خطبته التي القاها امامه في عيد الام ان يربط ببراعة بين الام وبين قولهم « ام رأسه » كما انه في الخطبة الثانية التي القاها يوم فرح صديقه فتحي والتي

اراد بها ان يستدر اعجاب المدير مرة ثانية ، وفشل فسي محاولته لان المدير غادر الحفل قبل القاء الخطبة لم يجد ما يقوله فيها سوى « والزواج والازدواج والامتزاج ، هذه الكلمات القريبة في نطقها كما ترون ولكنها في معانيها اشد قريبا واثق صلة فكلها فروع شجرة واحدة .. والزواج نصف الدين ينطق بذلك الاثر ويدل الخير » .

ان الخطأ الكبير في القصة يكمن في ان المؤلف يتعامل مع الاستاذ حسن وكأنه شخصية سوية ، الا حين يريد السخرية منه في بقائه اعزب ، فيحول الى ابله تماما ومن هنا نحس بان الكاتب لكي يقنعنا بروعة اكتشافه لم يكن مخلصا الى حد كبير معنا او مع بطله .

الذباب لا يموت في الطين :

تكشف لنا هذه القصة عن مشكلة العلاقة بين العنوان والقصة ، لماذا نختار لقصصنا هذه العناوين الضخمة واللافتات البراقة اذا كان ما تحت العنوان لا يتلاد مع ضخامة العنوان وغرابته ، بل ان المشكلة تصبح اكثر حدة اذا كان ما تحت العنوان قد يتعارض او يتناقض مع العنوان نفسه ، والذي يقرأ قصة الاستاذ « احمد هاشم الشريف » لا يقتنع اطلاقا بان « الذباب لا يموت في الطين » هذا اذا لم يقتنع اصلا بان الذباب لا يد ان يموت في الطين فالقصة تقدم لنا الصورة التقليدية لطبيب كما تعود الكتاب المصريون ان يصفوه في عهد ما قبل الثورة ، يذهب الى عمله واعصابه مشدودة كقوس من تأثير سهرة الامس بالطبع ، ولا أدري اين يسهر الطبيب في البلينا في اعماق الصعيد كل ليلة ، وهو يحاول ان يسلي سأمه ولكنه لا يدري كيف ؟ ومناسبة السام تستدعي السخرية من الملك السابق « على الماشي » « الكرسي الصلب ينتظره ببرودته وصلابته ، ونتيجة عليها صورة الملك ، بطربوش فاقع الاحمرار يكاد يعيل من نشوة العظمة وجلال السلطان وصدوره مزدهم بأوسمة ونياشين لا حصر لها ... تأمل صورة الملك وتأمل الكتب والدولاب والسفارة المجاورة للباب حتى شبع ، وكلما تأمله من جديد جاءه احساس الشبعان الذي يريد ان يتقيسا » ويدخل عليه التمورجي ليخبره في حياء بان اليوم هو يوم الكشف عن المومسات . ويحس القارئ ان كل التفاصيل السابقة لا علاقة لها بالقصة ، ووجد في الكشف على المومسات ما يشغله ويسليه ، وتكشف في شخصية الطبيب رجعية لا نقل عن رجعية اي اقطاعي في عصره « كان يدي لهن احتقارا لا حد له ، احيانا يتهمك عليهن في ازراء ، وحيانا يدق المكتب بقبضة يده ويصرخ في صوت عال لمجرد ان واحدة منهن اقتربت منه اكثر من اللازم ، كان يعتبرهن ذبابا يتوالد في البرك ويجب على اكوام الزبالة ليزعج الناس بطينته وما زال على رايه حتى الان » وهو لفرقه منهن يعطيهم تصريح العمل دون ان يكشف عليهن حتى يصل الى الاخيرة ، ولانها كانت جميلة يتعاطف الطبيب معها ويتحول الى انسان ، وهذا التحول المفاجيء غير مبرر ولا مقنع ، ويكشف الطبيب عليها جادا ويحولها الى المستشفى الاميري لانها مريضة ويقرر الكشف من جديد على زميلاتها والنتيجة النهائية فيما يبدو هي تحويلهن الى المستشفى الاميري ايضا وهناك سيموتون في الطين ايضا ، والطين كما يدري المؤلف كان اشد عزارة في المستشفى الاميري منه في اي مكان اخر فالعنوان غير مبرر ، والتحول في شخصية الطبيب مفاجيء والقصة ليست في مستوى اللافتة التي علقت عليها .

\*\*\*

وبعد فقد افترضت منذ البداية انني اتعامل مع قصص ناضجة ، ولذلك لم اتوقف كثيرا عند بعض مظاهر التوفيق التي تبدو في هذه القصص ذلك لاني امل ان تكون قد تمدينا المرحلة التي نسعد فيها بالقصاص اذا وفق لبدييات فن القصة القصيرة ، وتحياي الى كتاب مجلة الاداب وقرائها .

عبد المحسن طه بلر

القاهرة